

روح المعاني

ومجرد أن الدخول في الاسلام لم يكن تحت ظلال السيوف لا يدل على ذلك فمن الله تعالى عليكم بأن قبل ذلك منكم ولم يأمر بالفحص عن تواطؤ ألسنتكنم وقلوبكنم وعصم ذلك دما نكم وأموالكم فاذا كان الأمر كذلك فتبينوا هذا الامر ولا تعجلوا وتدبروا ليظهر لكم أن ظاهر الحال كاف في الايمان العاصم حيث كفى فيكم من قبل وآخر هذا التعليل على ما قيل : لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به أو لأن في تقديم الأول اشارة الى ميل القوم نحو ذلك العرض وأن سرورهم به أقوى ففي تقديمه تعجيل لمسرتهم وفيه نوع حط عليهم رفع الله تعالى قدرهم ورضى المولى عز شأنه عنهم أو لأنه أوضح في التعليل الأخير وأسبق للذهن منه ولعله لم يعطف أحد التعليلين على الآخر لئلا يتوهم أنهما تعليلا شدة واحد أو أن مجموعهما علة وقيل : موافقه لما علل بهما من القيد والمقيد حيث لم يتمايز بالعطف وقيل : إنما لم يعطف لأن الأول تعليل للنهي الثاني بالوعد بأمر أخرى لأن المعنى لا تبتغوا عرض الحياة الدنيا لأن عنده سبحانه ثوابا كثيرا في الآخرة أعده لمن لم يبتغ ذلك وعبر عن الثواب بالمغانم مناسبة للمقام والتعليل الثاني للنهي الأول ليس كذلك وذكر الزمخشري وغيره في الآية مارده شيخ الاسلام بما يلوح عليه مخايل التحقيق وقال بعض الناس فيها : إن المعنى كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا بدينه في قومه خوفا على نفسه منهم كنتم أنتم مستخفين بدينكم حذرا من قومكم على أنفسكم فمن الله تعالى عليكم بإظهار دينه وإعزاز أهله حتى أظهرتم الاسلام بعدما كنتم تكتُمونه من أهل الشرك فتبينوا نعمة الله عليكم أو تبينوا أمر من تقتلون ولا يخفى أن هذا وإن كان بعضه مرويا عن ابن جبير غير واف بالمقصود على أن القول : بأن المخاطبين كانوا مستخفين بدينهم حذرا من قومهم في حيز المنع اللهم إلا إن يقال : ان كون البعض كان مستخفيا كاف في الخطاب وقيل إن قوله سبحانه : فمن الله عليكم منقطع عما قبله وذلك أنه تعالى لما نهى القوم عن قتل من ذكر أخبرهم بعد بأنه من عليهم بأن قبل توبتهم عن ذلك الفعل المنكر ثم أعاد الأمر بالتبين مبالغة في التحذير أو أمر بتبيين نعمته سبحانه شكرا لما من عليهم به وهو كما ترى .

واختلف في سبب الآية فأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن حميد وصححه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنما له فسلم عليهم فقالوا : ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا له فقتلوه وأتوا بغنمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت .

وأخرج ابن جرير عن السدي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها أسامة بن زيد الى بنى ضمرة فلقوا رجلا منهم يدعى مرداس بن نهيك معه غنيمة له وجمل أحمر فأوى إلى كهف جبل واتبعه أسامة فلما بلغ مرداس الكهف وضع فيه غنمه ثم أقبل عليهم فقال : السلام عليكم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فشد عليه أسامة فقتله من أجل جملة غنيمته وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أسامة أحب أن يثنى عليه خيرا ويسأل عن أصحابه فلما رجعوا لم يسألهم عنه فجعل القوم يحدثون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون يا رسول الله لو رأيت أسامة وقد لقيه رجل فقال الرجل : لا إله إلا الله محمد رسول الله فشد عليه فقتله وهو معرض عنهم فلما أكثروا عليه رفع رأسه الى أسامة فقال : كيف أنت ولا إله إلا الله فقال يا رسول الله إنما قالها متعوذا يتعوذ بها فقال E : هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه ! ثم نزلت الآية